Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجاء من بعده على شاكلته أبو هلال العسكري، فقد أرجع سر البلاغة أيضاً إلى الألفاظ يقول: فإن كان الكلام قد جمع بين العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة واشتمل على الرونق والطلاوة وسلم من حيف التأليف وبعد عن سماجة التركيب، ورد على الفهم الثاقب فقبله ولم يرده، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجه. والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وليس الشأن في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي، والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه... مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف[1] وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته[2].

وأبو هلال ـ وكذلك الجاحظ ـ لم يرسل القول على إطلاقه؛ بل قيده كما رأينا بصحة المعنى وهذا أمر طبيعي إذ لا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه، ولا في غرابة المعنى إلا إذا شرف لفظه.

هذا وقد ظن الدكتور زكي مبارك أن أبا هلال قد تراجع أو تناقض[3] مع نفسه حينما قرر في موضع آخر أن المدار على إصابة المعنى وأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة[4].

ونرى أبا هلال لم يضطرب ولم يتناقض، وأنه ما زاد على أن أبرز شأن المعنى في العبارة: وهل يختلف اثنان في أن المعنى لب وجوهر واللفظ عرض وقشور ومع ذلك فاختيار الألفاظ وترتيبها ترتيباً ذوقياً هو ميدان العبقرية لأنها تعز على من رامها وتطول.

إن أبا هلال كان واضحاً صريح اللفظ في الافصاح عن رأيه فيما ذهب إليه بقوله: (إن الكلام إذا كان لفظه غثا، ومعرضه رثا كان مردوداً، ولو احتوى

---

(١) الصناعتين ص ٤٣.
(٢) ص ٤٤.
(٣) النثر الفني جـ ٢/١٠٩.
(٤) ص ٥١.